

# السيرة النجدية

## فج

# الأدب العربي

د. يحيى عبد الرؤوف جبر

الاشتقاق اللغوي :



ينصرف الأصل اللغوي (ن ج د) لدلالة أصلية تقع على معنى الارتفاع المادي، ومنه لهذه الدلالة النجد بمعنى الهضبة، وما ارتفع من الأرض. والنجدان من قوله تعالى «وَهَذِيْنَةُ النَّجْدَيْنِ» (١)، حيث تفسر الكلمة بالثديين، وهما إلى ارتفاع وبروز عن سواء البدن، وبالطريقين المرتفعين الواضحين، وهما طريقا الخير والشر.

ومن شواهد النجد بمعنى المرتفع من الأرض استخدامهم الكلمة لمعنى نقيض الغور، وهو المنخفض من الأرض، قال الطرماح بن حكيم الطائي:

بما لا يرى منها بغور ولا نجد (٢) . . .

وأنجد القوم، إذا أتوا نجداً أو ساروا في اتجاهه، قال مالك بن نويرة في هذا المعنى:

يَهْلُونَ عَمَارًا إِذَا مَا تَغُورُوا      وَلَا قُوا قَرِيشًا خَبَرُهَا فَأَنْجَدُوا (٣)  
وَمِثْلُهُ فِي أَقْوَالِهِمْ مِثْلُ أَعْرَقَ وَأَتَمَّ وَشَاءَ وَمِنْ إِذَا أَتَى الْعِرَاقَ وَتَهَامَةَ وَالشَّامَ  
وَالْيَمِينَ.

والنجد أو نجد كذا، أسماء تطلق على مواضع بعينها، كنجد الشرى ونجد اليمن ونجد كبكب وغيرها. وما يزال سكان المناطق الجنوبية الغربية من السعودية (تنومة والعوصاء وقراهما) يطلقون على الهضبة الممتدة إلى الشرق من بلادهم اسم نجد، وذلك لارتفاعها، وهذا هو الأصل في دلالة الكلمة، ثم خصصت لمواقع معينة أعلاماً عليها، غير أن أشهرها على الإطلاق، والذي يفهم دون غيره عند تحرير الكلمة هو إقليم نجد الذي يتوسط شبه جزيرة العرب، جزءاً من المملكة العربية السعودية.

ومن المثلّس في أقوالهم ما يروى من «أن عبدالمكك بن مروان أخرج جاريته في السوق ونادى منادٍ بدمشق الشام أن من قال بيتاً ثانياً من الشعر لهذا البيت فهذه الجارية له حلال، وهو قوله شعراً:

بِكَيْ كُلِّ ذِي شَجْوٍ تَهَامَ وَشَجْوُهُ      بِنَجْدٍ فَأَتَى يَلْتَقِي الشُّجْوَانُ  
فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْعَرَبُ أَقْوَالاً كَثِيرَةً هُمُ وَالْعُلَمَاءُ، فَلَمْ يَرْضَهَا عَبْدُ الْمَكِّ حَتَّى قَالَ  
جَرِيرُ:

يَغُورُ الَّذِي بَنَجْدَ أَوِ الَّذِي (م)      بَغُورِ تَهَامَاتٍ فَيَلْتَقِيَانِ  
فَقَالَ عَبْدُ الْمَكِّ: خذ الجارية، لا بارك الله لك فيها، والله إن البيت ليقع على البيت  
كما يقع الحافر على الحافر، فالمراد: كل مكان عالٍ يسمى نجداً، وكل مكان هابط  
يسمى غوراً وتهامة» (٤).

وفي هذه الحكاية ما يشير إلى أن الذين قالوا ولم يصيبوا ما يوافق رأي عبد الملك كانوا يعتقدون أن المقصود هو إقليم نجد وتهامة في وسط الجزيرة وغربها، والمسافة

بينهما كبيرة، وليس المكانين المرتفع والمنخفض اللذين قد يكونان قريباً أحدهما من الآخر.

وتقع دلالة «نجد» أيضاً على الارتفاع المعنوي، ومن ذلك النجدة بمعنى المروءة والشهامة والقصد إلى المعالي والأمور السامية. وفي المثل «هو طلاع أنجد»<sup>(٥)</sup> إذا كان سامياً لمعالي الأمور ويحسن ضبطها ويحكم الصرفة بها. ومن ذلك في أشعارهم قول ذريرد بن الصمة يرثي أخاه:

كَمِيشُ الْإِزَارِ خَارِجُ نَصْفِ سَاقِهِ      صَبُورٌ عَلَى الْعِزَاءِ طَلَاعُ أَنْجَدٍ<sup>(٦)</sup>

ولعل هذا الاستخدام هو الذي قاد إلى تغير الدلالة لمعنى الشهامة والمروءة، وتتضح العلاقة بين الدالتين بتقليب المعاني التي يتضمنها قول أبي القاسم الشابي في رائيته المشهورة:

وَمَنْ لَا يُحِبُّ صَعُودَ الْجِبَالِ      يَمِشُ أَبْذَ الدَّهْرِ بَيْنَ الْخَفَرِ

حيث قرن صعود الجبال بمعنى الشهامة والعزة، والعيش في المنخفضات بالذل والمهانة... وقد سبق الجاهليون إلى مقارنة من هذا القبيل حين كان أحدهم يفاخر بنزول الأماكن العالية المشرفة، التي تستقطب الأضياف، وكانوا يذمون «حلال» التلّاع مخافة أن ترى الأضياف داره أو ناره، والتلّاع هي الأماكن المنخفضة بجانب الأودية.

وعكس النجد الغور، وبه سميت تهامة، وكل منخفض من الأرض وغيرها - كمااء - فهو غور. قال تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾<sup>(٧)</sup>. أي غائراً، وعكسه المعين. وغور الأردن من ذلك، لانخفاضه، وهو امتداد طبيعي لتهامة التي تمتد على الساحل الشرقي من البحر الأحمر، وقد تشكلت معاً في الزمن الجيولوجي الثالث<sup>(٨)</sup> من جراء الخسف الذي اعترى الأرض آنذاك، ونجم عنه ما يعرف بالأخدود الأفريقي العظيم أو حفرة الانهدام، وامتدت ما بين منابع النيل في وسط أفريقية إلى البحر الأسود في أواسط آسية، مروراً بالبحر الأحمر وغور الأردن والباقع في لبنان وسورية.

## أسماء نجد :

عُرِفَت نجد في التراث العربي بعدد من الأسماء غير نجد، ومن ذلك :

### أ - الجنس، ودون آل :

وإنما سميت به لأنها كأنها جالسة في مكانها من وسط الجزيرة، فهي ترتفع من فوقه كما يرتفع الجالس المتربع فوق مكانه، قال الأحوص :

وإني إليها حيث طارت بها النوى من الغور أو جلس البلاد لنازع<sup>(٩)</sup>  
وقال العرجي في المتجه صوبها :

شمال من غاربة مفرعا وعن يمين الجالس المنجد<sup>(١٠)</sup>

أي الآتي نجدًا، وفي هذه الصيغة ما يؤكد دلالة الكلمة (جلس) على نجد، الإقليم الذي يتربع في وسط جزيرة العرب .

### ب - سنام الأرض :

وهذه التسمية من باب المجاز لعلاقة المشابهة، فكأن الأرض ناقة ونجد سنامها . ولم أقف على هذه التسمية إلا في بيت واحد هو قول بشر بن أبي خازم :

كفينا من تغيب، واستبحنا سنام الأرض إذ قحط القطار<sup>(١١)</sup>

يريد نجدًا بعينها، والمعنى إننا قمنا باللازم دون حاجة إلى من تغيب منا، وأغرنا على نجد بعد أن اشتدت وطأة القحط، وأرسلنا سائمنا ترعى حيث شاءت .

### ج- العالية أو عالية نجد :

وقد سميت به لعلوها على ما حولها من أنحاء الجزيرة العربية، وإشرافها عليه، وإياها أراد الشاعر بقوله :

إذا هب علوي الرياح وجدثي نهش لعلوي الرياح فؤاديا

وإن هبت الريح الصبا هيجت لنا عقابيل حزن لا يجدن مداويا<sup>(١٢)</sup>

إذ المقصود بعلوي الرياح ما هب منها من قبيل العالية ... نجد . ومثله قول المجنون الذي سيأتي بعد قليل .

د - والشرف هو كبد نجد :

وكانت منازل الملوك من بني أكل المزار «مملكة كندة قبيلة امرئ القيس الشاعر الجاهلي المشهور» وفيه اليوم حمى ضرية ... وفي الشرف الرُبْدَة، وهي الحمى الأيمن، والشريف إلى جنبه يفرق بين الشرف والشريف وإِذْ يُقال له التسرير (١٣).

### المناخ والبيئة الطبيعية :

يسود منطقة نجد مناخ قاري، حار صيفاً بارد شتاء، شديد الحرارة نهاراً، شديد البرودة ليلاً. وقد نقف على هذه الحقائق في أشعارهم، قال أحد الأعراب :

ألا أبها البرق الذي بات يرتقي      ذرى الظلماء ذكرثني نجدا  
ألم تر أن الليل يقصر طولَه      بنجد، وتزداد التُطافُ به برّدا (١٤)

والتطاف جمع نُطفة وهي القليل من الماء يتجمع في الأقالط وتجاويف الصخور. أما في الصيف فإن الحر يشتد فيه إلى درجة عالية، وما أرى تخليدهم ريح الصبا في أشعارهم إلا صدى لما يلاقونه من حمارة القيظ ولفح الهواجر، وخير ما يوضح ذلك تلك الأبيات التي استطارت في الآفاق وجاوزت حدود نجد إلى الأصقاع المختلفة - التي تغنى بها ابن الدُمَيْنَة قبل أكثر من ألف عام حيث قال:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد      لقد زادني مسراك وجداً على وجد (١٥)  
... إلى آخر القصيدة.

ولما كانت البلاد هي البلاد، والمناخ هو المناخ، فقد أطربت هذه القصيدة كل مستمع، حيث جرت على لسان المطرب الخليجي عوض دوخي نغماً شجياً ولحناً عميق الأثر في النفس.

ولعل في الخبر الذي أورده أبو علي الفالي في أماليه (١٦) ما يؤكد ما قدمنا، حيث روى أن رجلاً من أهل تهامة تزوج امرأة من أهل نجد، فأخرجها إلى تهامة، فلما أصابها حرّها قالت: ما فعلت ريح كانت تأتيها ونحن بنجد يقال لها الصبا؟، قال: يحبسها عنك هذان الجبلان (يعني جبلي نعلان) فأنشدت:

أيا جبلي نعمان بالله خلّيا      نسيم الصبا يعبرُ إلى نسيمها  
اجدُ بردّها أو تشفِ مني حرارة      على كبد لم يبقَ إلا صميمها  
فإن الصبا ریح إذا ما تنسمت      على نفس مهموم تجلّت همومها

والصباريح شرقية تهب على نجد من قبل الخليج العربي، فتكون رطوبة تنعش الجو بما تحمله من رطوبة الخليج وتلطفه، قال أبو صخر الهذلي<sup>(١٧)</sup> في جهة مهبها:

إذا قلتَ حين أسلو يهيجني      نسيم الصبا من حيث يطلع الفجرُ  
أي من قبل المشرق.

وإذا انخرقت ریح الصبا في نجد، وتجاوزتها إلى الغرب تكون قد فقدت نداوتها، ولم تعد تلطف الجو، ولكنها على العكس من ذلك، تثير الغبار وتؤذي الناس، قال أبو ذؤيب الهذلي:

تكرّره نجديّةً وتحذّه      مسفسفةً فوق التراب مفعج<sup>(١٨)</sup>

أي تعصف به وتطيره من مكان لآخر ریح تهب من قبل نجد، ولذلك فقد نسبنا إليها -نجديّة!! وهي الصبا بعد أن تتخرق في هضبة نجد، وتعبرها في اتجاه الغرب، والمسفسفة التي لا ترتفع فوق الأرض، فهي تثير الغبار، أما المفعج فهي السريعة.

ونجد بلاد نزهة، وذلك بسبب جفافها، فالأوبئة والوَحْم لا تكون إلا في الأماكن الرطبة حيث يكثر الماء والكلاء، وفي أماكن الإقامة الدائمة، وليس في المنتجعات والمرادات والمرايع والدارات والهجر وغيرها من أماكن النزول الموسمية. وتتضح بعض هذه الصفات في أشعارهم، ومن ذلك قول نوح بن جرير الخطفي:

إذا العرش لاتجعل ببغداد ميتي      ولكن بنجد، حبذا بلدا نجدُ  
بلاد نأت عنها البراغيث والثقي      بها العين والأرام والعقر والرُبْد<sup>(١٩)</sup>

ولم يكن نوح هو الوحيد الذي يرى ذلك، فهذا هو عبدالرحمن بن دارة يوصي بأن يدفن في نجد، ولئن فضلها نوح على بغداد العراق، فهذا هو عبدالرحمن بن حسان يفضلها على حمص/الشام، قال:

خليلي إن حانت بخص منيتي فلا تدفئاني، وارفعاني إلى نجد<sup>(١٩)</sup>  
وروي ياقوت الحموي أن بعض أهل حجر قدم إلى بغداد فاستوبأها، وذلك لكثرة  
الرطوبات من مياه دجلة ونتح الأشجار، فقال:

أرى الريف يدنو كل يوم وليلة وأزداد من نجد وصاحبه بُعدا  
ألا إن بغداداً بلاد بغیضة إلي وإن كانت معيشتها رغدا  
بلاد تهب الريح فيها مريضة وترداد خبثا حين تمطر أو تندى<sup>(٢٠)</sup>

إن هذه الأبيات لتذكرنا بقصة ميسون بنت بحدل الكلبية، زوج معاوية بن أبي  
سفيان، التي لم ترقها الحياة في نعيم دمشق وقصور بني أمية، وآثرت عليها بادية  
الشام حيث كانت تتجول قبيلتها - بنو كلب - فقالت أبياتها المشهورة التي أولها:

لبيت تخفق الأرواح فيه أحب إلي من قصر منيف  
ولبس عباءة وتقر عيني أحب إلي من لبس الشفوف<sup>(٢١)</sup>

...

فلما سمعها معاوية سرحها.

فنجد، ليست تزداد خبثا حيث تمطر أو تندى ولكنها، على العكس من ذلك، تغدو  
عبقة بروائحها الطيبة، من شذا العرار والأقحوان، ومن ترابها الذي ما أن يمسه  
المطر حتى تفوح منه الروائح الزكية، قال شاعرهم:

أكرر طرفي نحو نجد واتني إليه، وإن لم يدرك الطرف، أنظر  
حينئذ إلى أرض كأن ترابها إذا مطرت عود ومسك وعنبر  
بلاد كان الأقحوان بروضه ونور الأقاحي وشئ برز محبّر<sup>(٢٢)</sup>

وقال آخر:

فيا حبذا نجد وطيب هوانه إذا هضبت به بالعشي هواضبه<sup>(٢٣)</sup>

والمعنى: إذا أصابه المطر... الغزير مساء. وجدير بالذكر هنا أن الأرض، أي  
كانت، تفوح برائحة خاصة في أعقاب المطر أول ما ينزل في موسمه "Fragrance"

وهي رائعة مميزة، وغالباً ما تكون طيبة، وخصوصاً في الأرض العذبة وفي نزه القلعة، وهذا ما أراده الشاعر أن هنا، حيث صرخاً بذلك مفروناً بالطير. ونجد من أنزه بلاد العرب لجمالها وطبيعتها أرضها ونضار بها.

وقال شاعر آخر، وفي قوله ما يوضح مدى تعلق العرب بنجد، بالرغم مما كان عليه حينها من شظف:

ما وجد أعرابية قد كنت بها	صروف النوى من حيث لم تك ظنت
تمنت أحاليب الرعاة وخيمة	بنجد، فلم يقدّر لها ما تمنت
إذا ذكرت ماء القضاء وطيبه	وبرق الحصى من نحو نجد أرثت
بأوجد من وجد برياً وجدته	غداة غدونا غربة واطمانت <sup>(١)</sup>

فهذه الأعرابية قد عذت مضرب المثل في شدة الوجد والشوق إلى نجد حتى لو لم تجد فيه إلا حليب ناقة وخيمة، ولكن شوق هذا الشاعر إلى «رياء أشد من شوقها إلى نجد... إنه أعظم مما يستمتع به هو والتاس.

### لواعج البرق والهوى :

يلفت الطالع في أدب العرب على ما كان البرق من مكانة أثيرة عندهم، ذلك لأنه غالباً ما يكون غيباً مطر جيد، ولذا كان المطر أهم مصادر المياه في بلاد العرب، وعماد الحياة فيها، سواء لهم ولأنعامهم وزروعهم، فقد اهتم ذلك كله بموقف وجداني عميق نداه البهنة الطبيعية، يتمثل في التعلق بها وحسبها إلى درجة الانحداد معها جزءاً فطرياً منها لا ينجزاً.

ونجد - ومثلها نهامة بكثرة، واليمن قليلاً - أكثر البلدان التي أضيفت إليها البروق، براما أنهاؤها المفتربون عنها، فتهيج ذكرياتهم، وتبعث فيهم الآمال للعودة إليها على نحو ما تجده في آثارهم قديماً وحديثاً. ومن يستمع إلى بعض الأصوات - ضرب من الغناء الشعبي منتشر في بلدان الخليج العربي - يلف على عبارة مثل «لمع البرق اليماني» تتردد فيها، ولو لم يكن اليمن قريباً منها، ذلك أن اليمن - كنجد - غدا في الأدب العربي مبعث شوق، ومحط آمال المفتربين من أنبائه، فاكتمست الكلمتان (نجد واليمن - ونهامة) دلالات هامة تلغ على معنى



الهوى والعشق والحنين ودواعيها وما يثيرها، تمامًا مثلما قال شاعرهم :

يذكرني لمع البروق منازلِي      بنجد وأهلِيها، فأضنى بها وجداً

وهذي النوى حكَمَ من الله نازلٌ      وما كنت ممن يستطيع له رداً (٢٥)

وقال أعرابي في الموضع نفسه :

رأيتُ بروفاً داعيات إلى الهوى      فبشرتُ نفسي أن نجداً أشيها

إذا ذكر الأوطان عندي ذكرته      وبشرتُ نفسي أن نجداً أقيها (٢٦)

فالبرق يذكر الشاعر بمنزله وأهله في نجد، وهي، في البيتين الأخيرين، تدعوه

إلى الهوى، وتبشره بأنه أصبح قريباً من نجد.

وجاء في معجم البلدان أن عشرة من الخوارج أدخلوا على عبد الملك بن مروان،

فأراد أن يضرب رقابهم، وكان يوم غيم ومطر وبرق ورعد، فضربت رقاب

تسعة منهم، وقدم العاشر ليضرب عنقه، فبرقت برق، فأنشأ يقول:

تألّق البرقُ نجدياً فقلت له      يا أيها البرق إنني عنك مشغولٌ

بذلة العقل حيرانٌ بمعكفٍ      في كفه كحباب الماء مسلولٌ (٢٧)

يقصد أن البرق كان جديراً بإثارة كوامنه وتحريك وجدانه وأحاسيسه، ولكن

الموقف العصيب الذي يقفه جعله مشغولاً عنه، وحال دون استجابة عواطفه لأثره.

فقال له عبد الملك: ما أحسبك إلا وقد حننت إلى وطنك وأهلك، وقد كنت عاشقاً؟؟؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: لو سبق شعرك قتل أصحابك لو هبناهم لك، خلوا

سبيله، فخلوه.

وجدير بالذكر أن البرق يتشكل بكثرة فوق نجد وتهامة وصُدُر عسير، لارتفاعها

أولاً، ولأن تهامة وصُدُر عسير أول ما يعترض السحب القادمة من فوق البحر

الأحمر، ونظراً لكثرة ما يتهبأ للسحب التي تصل إلى نجد من أسباب التأين والشحن

الكهربي نتيجة للتقلبات المناخية والرياح والعواصف الرملية التي تكتنف المنطقة من

حين لآخر.

ومما يؤكد الدلالة الجديدة التي بدأت تكتسبها كلمة «نجد» على المعنى، وإن لم

يكونوا من أهل نجد، فهذا هو سعيد بن حميد المنبجي المذحجي المعروف بالدوقلة  
يخاطب محبوبته مستخدماً الإتهام والإنجاد المشتقين من تهامة ونجد لمعنيين مرتبطين  
بذلك النوع من المشاعر الدافئة، فقال:

إن تتهمي فتَهامةَ وطني أو تتجدي إنَّ الهوى نجد(٢٨)

أي إنني أهوى من الأماكن حيث تكونين، وما نراه اختار نجداً وتهامة إلا  
لارتباطهما في ذهن الشعبي العربي بالهوى والعشق حتى لقد غدنا علمين عليهما،  
تماماً كما هي الحال بالنسبة للاسم «ليلي» من قولهم «كلُّ يغني على ليلاه» و«سعاد»  
في المقدمات الطلية، حيث شاعت عبارة «بانت سعاد» في كثير من قصائدهم، فقد  
روي أن الأصمعي كان يحفظ ستة عشر ألف قصيدة ومقطعة تبدأ بقول الشاعر:  
بانت سعاد!!!

وقد نشير هنا إلى أن كل ما وقفنا عليه من الآثار والأشعار التي تشرح العلاقات  
السابقة بين نجد ودلائنها على الهوى والعشق هو إسلامي، وتوجيه ذلك أن كثيراً من  
أهلها التحقوا بالجيش الإسلامي في العراق والشام وغيرها، وأقاموا في الأمصار  
المفتوحة، فبيح البعد مشاعرهم، وأنطقهم من الشعر بما بثوا فيه أحاسيسهم تجاهها،  
فكان على نحو ما تقدم.

ومما يوضح انتشار الدلالة السابقة بين غير النجديين وشيوع استخدام اللفظ لهذا  
الغرض ما ينسب لعبد الله بن عجلان النُهَدي(٢٩) وهو حجازي، من قوله:

بكى، فرئت له أجبال صَبَحَ وأسعدت الجبال به مَرُوتُ  
حجازيُ الهوى علقَ بنجدَ جويُ لا يعيش ولا يموت  
كان فؤاده كفاً غريقِ تنازعه بشط البحر حوت(٣٠)

والشاعر هاهنا يستبكي لبكائه الجبال، فلم يجدها كافية، حتى شاركها في ذلك  
الصحاري والقلوات، وهو حجازي الحب، ولكن محبوبته «نجد» أي فتاة بنجد وقد  
أضناه حبها حتى كاد يقتله.

وليس الشعراء وحدهم هم الذين يحنون إلى نجد، بل إن الإبل هي الأخرى تحن

إليها، وجدير بالذكر هنا أن الوطن وحبه والحنين إليه ألصق بالإبل، وقد نقلت هذه الألفاظ والعواطف من عالم الجمل إلى عالم الإنسان. فالإبل أنزع من الإنسان للوطن وقد فطرت على ذلك مذ كانت.

قال رجل من تميم :

حَنَنْتُ قُلُوصِي مِنْ عَدَانٍ إِلَى نَجْدٍ      وَلَمْ يَنْسِهَا أَوْطَانُهَا قَدَمُ الْعَهْدِ (٣١)

بل إن الحنين الذي هو الشوق إلى الوطن والأهل ونحوهما، هو في الأصل صوت يصدر عن الناقة إذا طلبت حوارها لترضعه، ولما كان ذلك مقروناً - في العادة - بعاطفة جياشة، فقد استساغ العربي أن ينقل الكلمة لدائرة الإنسان بمعناها الشائع اليوم.

ومن المقارنات الطريفة بين الإنسان والإبل ما أنشده المبرّد لبعض الأعراب في الحنين، حيث قال في ناقته:

حَنَنْتُ وَمَا عَقَلْتُ فَكَيْفَ إِذَا بَكَى      شَوْقًا يَلَامُ عَلَى الْبُكَامَنْ يَعْقِلُ

ذَكَرْتُ قَرَى نَجْدٍ، فَأَطْلُقُهُ الْهُوَى      وَقَرَى الْعِرَاقَ وَلِيلَهُنَّ الْأَطُولُ (٣٢)

وهذه الناقة لم تحنّ جرياً على عادة الإبل، بمناسبة وبغير مناسبة، بل لأنها تذكرت نجداً، فذكره حينئذ بما أطلق وجده وحرك أشجانه، وإنه لأحقّ منها بذلك، فهو يعقل، وهي لاتعقل، والشوق أخص بالعاقل من سواه.

ومن الأشعار التي تجردت فيها كلمة نجد علماً على موطن الهوى والمحبة قول سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، وهو حجازي شامي، يتفزل :

سَقَى الْغَيْثُ ذَلِكَ الْغَوْرَ مَا سَكَنْتُ بِهِ      وَنَجْدًا إِذَا صَارَتْ نَوَاها إِلَى نَجْدِ (٣٣)

ومانراه استخدم الكلمة اضطراراً لإقامة الوزن وطلباً للرؤي، بل انسجاماً مع ما درجت عليه العرب، وما شاع عندهم من إضفاء معنى المحبة والعشق والهوى لتلك الكلمة، لعلاقة بالبيئة التي تقع عليها، وبما فطر عليه إنسانها من تعلق بها لأسباب مختلفة.

وقريب من البيت السابق قول جرير وهو بالكوفة :

أحبُّ ثرى نجد، وبالغور حاجةً فغار الهوى يا عبدَ قيسٍ وأنجداً (٣٤)

يعني أن مواضعه اختلفت، فحبه لنجد فطري قديم، يسري في عروقه منذ نشأته، وحبه لتهامة (الغور) عارض حديث، لأن الحبيب اتخذ منها دار إقامة.

ومما يؤكد عمق العلاقة الدلالية بين نجد كلمة وأرضاً، وبين المعاني العاطفية التي سبق ذكرها ما حكاه الهيثم بن عدي عن أبي مسكين من خبر قيس بن الملوّح، قال: خرج منا فتى، حتى إذا كان ببئر ميمون، إذا جماعة على جبل من تلك الجبال، وإذا بينهم فتى قد تعلقوا به، مديد القامة، طوال أبيض، جعد الشعر، أعين، أحسن من رأيت من الرجال، وإذا هو مصفرّ مهزول شاحب اللون، قال: فسألت عنه، فقالوا: هذا قيس الذي يقال له المجنون، خرج به أبوه الملوّح حين ابتلى بما به إلى الحرّم مستجيراً بالبيت لعل الله أن يفرج عنه، فقلت: ما يصنع هاهنا، وما لكم تمسكونه، قال: لما يصنع بنفسه، فإنه يصنع بها صنيعاً يرحمه منه عدوه؛ ويقول: أخرجوني أنتسم صبا نجد، فنخرجه إلى هاهنا، فيستقبل بلاد نجد عسى أن تهب له الصبا، ونكره أن نخلي سبيله فيرمي بنفسه من الجبل، فلو شئت دنوت منه فأعلمته أنك قدمت من نجد، فيسألك عنها وعن بلاده فتخبره!! فقلت: أفعل، فقالوا: يا أبا المهدي! هذا رجل قدم من نجد، فتتنفس تنفّساً ظننت أن كبده قد انصدعت، ثم جعل يسألني عن وادٍ وادٍ، وموضع موضع، وأنا أصف ذلك له، وهو يبكي أحراً بكاءً وأوجعه للقلب، ثم قال:

ألا ليت شعري عن عوارضتيّ فها لطول الليالي هل تغيرتا بعدي؟

وعن علويات الرياح إذا جرت بريح الخزامى هل تهب على نجد

وعن أقحوان الرمل ما هو فاعل إذا هو أسري ليلة بثرى جعد (٣٥)

سقى الله نجداً :

ونظراً لما تقدم بيانه من المكانة الأثيرة التي حظيت بها نجد عند الشعراء وعامة الناس، فقد أثرها بطلب السقيا لها، وذلك شأن العرب جميعاً مع بلادهم وأوطانهم، لاسيما إذا شطت بهم يد النوى، غير أن نجداً أوفر من غيرها حظاً لما استطار من

شهرتها، وإنها غدت علماً على المحبة والعشق. قال عبيد الله بن الدِّمينة في داليته المشهورة<sup>(٣٦)</sup>:

سقى الله نجداً والمقيم بأرضها      سحاباً ثقلاً خاليات من الرعد  
وذلك أغزر لمطره وأعم، وأنفع للأرض ومن عليها. وقالت القُرَيْطِيَّة وقد ارتحل أهلها عن نجد:

سقى الله نجداً من ربيع وصيف      وماذا تُرْجِي من ربيع سقى نجداً  
على أنه قد كان للعيش مرة      وللبيض والفتيان منزلة حمداً<sup>(٣٧)</sup>  
إن في هذين البيتين ما يوضح لواعج الشوق الذي يستكنّ في فؤاد هذه المرأة لنجد، فهي بعيدة قد ارتحلت عنه، ومع ذلك فهي تدعو له بالسقيا، لأنه يكفي إنه كان يوماً ملعباً للشباب والحبان.



إن في تعقب التطورات التي طرأت على تاريخ هذه الكلمة (نجد) ما يوضح عمق العلاقة بين الإنسان والبيئة بوجه عام، والخصوصية التي امتاز بها «نجد» عن غيره من المواضع، سواء في هوانه ونسائمه، وفي تنزهه عن الأوبئة والرطوبات، ودروج اسمه على ألسن الشعراء يلهجون بذكره والتسفي به، بالرغم من شظف عيشه، حتى غدا اسمه علماً على العشق والهوى ... كان ... وما يزال، وسيظل مادامت الصبا تأتيه رخاء، ومادام شبحه وأقحوانه وعراره ... ياذن الله.

## الهوامش والمراجع

- ١ - سورة البلد - الآية ١٠.
- ٢ - الطرماح بن حكيم الطائي - ديوانه، تحقيق صلاح الدين الهادي - ص ١٩٢.
- ٣ - الأصمعي، عبد الملك بن قريب - الأصمعيات، ص ١٩٢.
- ٤ - ابن ماجه، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، تحقيق عزة حسن وزميله، منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق، عام ١٩٧١.
- ٥ - ابن بنين، سليمان، اتفاق الباني والخرق المعاني، تحقيق يحيى عبدالرؤف جبر، دار عمار، عمان، ١٩٨٥، ص ٢٠٢.
- ٦ - الأصمعي، ص ١٠٨.
- ٧ - سورة الملك - الآية ٣٠.
- ٨ - بروكلمان - كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة منير بعلبكي، بيروت، ١٠/١.
- ٩ - الأحوص - مستدرك شعر الأحوص، مجلة المورد، ص ٩١.
- ١٠ - العرجي، ديوانه، ص ١١.
- ١١ - الضبي، الفضل الضبي، الفضليات، ص ٣٤٣.
- ١٢ - الحموي، ياقوت - معجم البلدان، بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٩٧٣، ج ٤، ص ٧١.
- ١٣ - ابن جنيد، سعد بن عبدالله، المعجم الجغرافي لعالية نجد، منشورات دار اليمامة بالرياض، مطبعة نهضة مصر، ١٩٧٨، ١١/١.
- ١٤ - ابن بنين، ص ٢٠٢.
- ١٥ - ابن الدميني، ديوانه، ص ٢٩.
- ١٦ - ١٨١/٢.
- ١٧ - المسعودي - التنبيه والإشراف، ص ١٨.
- ١٨ - السكري - شرح أشعار الهذليين، القاهرة، ص ١٣١.
- ١٩ - ياقوت - معجم البلدان، ٦٤/٥.
- ٢٠ - المرجع نفسه، ٢٦٥/٥.
- ٢١ - شواهد سيبويه، ٤٣٦/١.
- ٢٢ - ياقوت ٢٦٢/٥، ٢٦٣.
- ٢٣ - المرجع نفسه ٢٦٣/٥.

- ٢٤- الزجاجي - أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحق - الأمالي، تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت ١٩٨٧، ص ٢٤، ٢٥.
- ٢٥- أسامة بن منقذ - المنازل والديار، منشورات المكتب الإسلامي ١/٤٧، ط ١، بيروت ١٩٨٠.
- ٢٦- ياقوت ٥/٢٦٦.
- ٢٧- المرجع نفسه ٥/٢٦٤.
- ٢٨- ابن خير - الفهرست، طبعة سر قسطة، ص ٤٠١. ومجلة الزهراء، المجلد الثالث، ص ٢٢٤، ٣٦٢.
- ٢٩- نسبة إلى هند النزارية، وكان أحبها حباً شديداً فمات به.
- ٣٠- ابن دريد - الأمالي، تحقيق السيد مصطفى السنوسي، الطبعة الأولى، الكويت، ١٩٨٤، ص ٩٤، وانظر ديوان الهذليين ٣/١٣ والأغاني (ط دار الكتب) ٢٠/٢٢، وأمالي القالي ٢/٢١٩، والأخبار الموقفيات للزبير بن بكار، تحقيق سامي العاني، ص ٥١٣، ٥١٤.
- ٣١- أسامة بن منقذ ٢/١٣.
- ٣٢- الزجاجي ص ٢٠١.
- ٣٣- أبو الفرج الأصفهاني - الأغاني (ط دار الثقافة)، ١٩٨٣م، ٨/٢٦٩.
- ٣٤- المرجع نفسه ٨/٦٠.
- ٣٥- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله مسلم - معجم الشعراء، منشورات دار الثقافة، بيروت د.ت ٢/٤٧٢. والأغاني (ط دار الكتب) ٢/٢١، وديوان قيس بن الملوح ص ١١٣.
- ٣٦- ابن الدميني - ديوانه ص ٢٩.
- ٣٧- أسامة بن منقذ ١/٩١.

